المسحوق العجيب



١

قصص وأسفار ومغامرات

منشورات
مكتبة الشرق
حلب

المسحوق العجيب

ترجمة الأديب

حسين رجب باشا

تقديم وتوجيه

لطفي الصقال

نشر وتوزيع

مكتبة الشرق بحلب

عبد السميع عنبش

أخي الصغير :

هل سمعتَ بعملاقٍ يحملُ قطاراً تحت إبطه ، أو يتناول قرص الشمس بيده ؟ وهل طرق مسامعَك خبرُ قزمٍ صَغُر حتى حبس في قفص ، ودقّ حتى غاب في جحر الفئران ؟

إنْ كنتَ لم تسمع بذلك قطّ ، فاقرأ « المسحوق العجيب » فهو أولُ عددٍ من سلسلةٍ ممتعة أهداها الأديب الفكه حسينُ رجب باشا إليك .

سوف ينقلك هذا الأديبُ البارعُ بقصصه إلى عالم البهجةِ والأفراح ، عالمٍ لا يتصوّرُه إلاّ خيالٌ مبدعٌ ، لا تقعُ فيه إلا على أنسٍ وضحكٍ ونشاط .

صديق الأطفال

لطفي الصقال

١ - اختراع عظيم

بينما كنتُ أجوب الصحراءَ وأقطع الفيافيَ والقفارَ على جملٍ يحملُ زادي ومؤونتي، وصلت الى بلدةٍ نائيةٍ يسكنُها عالِمٌ جليلُ القدْرِ عظيمُ الخطَر، قيلَ إنه اخترعَ مسحوقاً عجيباً سوف يقلبُ به مستقبلَ العالمِ رأساً على عقبٍ، ويبني المدنيَّةَ المقبلةَ على نموذجٍ قويمٍ يسودُهُ الأمْنُ والسلام.

فعزمتُ على زيارتهِ علَّني أستفيدُ من هذا الاختراعِ العجيب

وفي اليومِ التالي دخلتُ منزلَه فوجدْتُهُ جالساً في زاويةٍ من الزَّوايا، وأمامَه منضدةٌ مملوءةٌ بالأنابيبِ والأجهزةِ يلبسُ لباساً أبيضَ محلّىً بأزرارٍ ذهبيّةٍ، على عينيه نظّارتان، كثُّ الشَّعْرِ قد أرسل لحْيتَه حتى بلغتْ سُرَّتَه، إذا تكلَّم فكأنَّه لقمانُ يُرْسِلُ الحِكَمَ كالجُمانِ في مملكةِ الإنس والجان.

وبعدَ التحيَّةِ والسلامِ سألتُه عن اختراعِه الخطيرِ ؛ فاعتدل في جلستِه ورفع نظّارتَيه، وترك تجاربَه ومنضدتَه جانباً، والتفتَ إليَّ قائلاً : « نعم » يا سيدي ! بتوفيقِه تعالى ومثابرتِنا وصبرِنا على المكارهِ استطعنا أن نكتشفَ مسحوقَين لهما مزيةٌ فريدة . ولا أبالغُ إذا قلتُ إنهما سيقلبانِ الأرضَ بالطولِ والعرضِ ، وسيغيّرانِ مجرى الحياةِ ، وسيسجّلُ لنا التاريخُ بها أنصعَ الصفَحات . »

قلتُ : وما هُما ؛ باركَ اللهُ بكم . فقالَ بِزَهْوٍ : انْظُرْ إلى هاتَينِ الزُّجاجَتين، فهلْ ترى فيهما ما يدلُّ عليهما ؛ فنظرتُ مَلياً، وحاولتُ بذكائي الوقّادِ وبصري النّافذِ أنْ أرى ما بداخلِها، ولكني لم أرَ شيئاً ، فأعدتُ الكرّةَ وحملقتُ ونظرتُ جيداً فلم أرَ شيئاً فقلتُ : أعترفُ بعجزي - أيُّها النحريرُ - فأخبرني أنتَ واكشفِ الغطاء .

فابتسمَ وقال : أمّا الزجاجةُ الأولى ففيها مسحوقٌ سمّيتُه « مسحوقَ الأقزامِ » إذا أخذتَ منه ملعقةً من البُنّ أصبحتَ

قِزماً تستطيع أن تدخلَ أجحارَ الفئرانِ ومساكنَ النَّمْلِ، وأن تمرقَ من الإِبْرةِ وشقِّ البابِ، وأن تصعدَ إلى أعلى الأشجار وقممِ الجبالِ، كلُّ هذا بخفَّةٍ ورشاقةٍ وسُرْعةٍ عجيبة.

وأمَّا الزجاجةُ الثانيةُ ففيها «مسحوقُ العمالقةِ» إذا تناولتَ منه ملعقةَ بنٍ أصبحتَ عملاقاً تستطيعُ أنْ تمسَّ سطحَ ناطحاتِ السَّحابِ وأعْلى المنازلِ والجبالِ، وأنْ تكونَ إحدى رجليكَ في السَّهلِ ورجلُكَ الأخْرَى على قمَّةِ أَعْلَى جبلٍ في العالَمِ وهو قِمَّةُ «همَلايا» في الهندِ، بلْ تستطيعُ أن تتناولَ قُرْصَ الشمْسِ بيدِكَ وأن تلعبَ به إذا شئتَ.

٢ - فوائد الاختراع

فقلتُ له: «وما فائدةُ هذا الاختراعِ يا أستاذ؟ تاللهِ لقد أنفقتَ وقتَك في غير طائلٍ، وصرفتَ جُهْدَكَ في خيالٍ زائلٍ!».

فأرسلَ إليَّ نظرةَ إشْفاقٍ من عينٍ مُلِئَتْ بالحِكْمةِ والفلسفةِ

والطبِّ ، وقالَ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، كيف غابَ عنكَ نفعُ اكتشافي ، ولم تُدْرِكْ فائدتَه ! ؟ ولكنْ لا بأسَ مِنْ أنْ أدلَّكَ على دقائقِه بالتفصيلِ بعد أنْ عرفتَ الفكرةَ بالإجمالِ .

اِعلمْ - أيُّها الرجلُ - أنَّ مسحوقَ العملاقِ ينمِّي في الانسانِ جسمَه ورأسَه وعقلَه ، فليس على التلاميذِ إلا أن يتزوَّدوا بقليلٍ من هذا المسحوق ولا يُبالون بعدَ ذلك بشيءٍ ؛ فهمْ يحفظون دروسَهم ويعملون واجباتِهم بأسرعِ وقتٍ ولا يتعبون أبداً ، لأن أدمغتَهم قد نمتْ وكبُرتْ ؛ وكذلك الأمرُ في رجالِ الرياضيَّاتِ والأدبِ والسِّياسةِ والاعمالِ الكبيرةِ الَّذين يحتاجون الى أدمغةٍ ضخمةٍ لمزاولةِ أعمالِهم ؛ فكُلَّما اشتدَّ عليهم الأمرُ ، تناولوا كميَّةً من هذا المسحوق وعندها يستطيعون حلَّ المشاكلِ بيسْرٍ وسُهولةٍ

فقلتُ له : آمنَّا - يا مولاَيَ - بنفعِ مسحوقِ العمالقةِ وإنْ كنتُ أخشى أن أتناولَه خوْفَ أن يتجاوزَ قياسي مساحةَ داري ، وأنا رجلٌ فقيرٌ ، رقيقُ الحالِ ، لا أجِدُ قيمةَ دارٍ عملاقيَّة .

ولكنْ قلْ لي بربِّكَ ، ما فائدةُ مسحوق الأقزامِ ؟

ففتلَ شاربيه وخلَّلَ لِحْيتَه بأصابعِه، وأخذ نفَساً عميقاً، ثم قال: الأمرُ واضحٌ جداً؛ فرجالُ المخابراتِ مثلا يحتاجون الى التخفّي، فاذا ما تناولَ الواحدُ منهم قليلاً من مسحوقِ الأقزامِ، غاب عن الأنظارِ واستطاعَ أنْ يختفي بحفنةٍ من التّرابِ أو وراءَ غصنٍ من الأغصانِ، واستطاعَ أن يبلغَ مأربَه وينفّذ ما يُطْلَبُ منه دونَ أن يشعرَ به الحُرّاسُ، أو تُدركَه العيون.

وكذلك شرطةُ التحرّي يتمكنون من أن يتعقّبوا المجرمين، وهمْ أقزامٌ، فاذا ما أدْركوهم وقبضوا عليهم في الجرمِ المَشْهودِ تناولوا من مسحوقِ العمالقةِ، فاذا همْ جبابرةٌ لا يقاوَمون قُوّة.

ولا تنسَ رجالَ الجاسوسيةِ وفرِقَ الجيش الاسْتطْلاعيّة فهمْ أحوجُ ما يكونون الى مثلِ هذَين المسحوقَين. ثم سكتَ لحظةً يتنفّسُ الصّعداء؛ وجالَ في خاطري إذ ذاك سؤالٌ أردتُ أن أسألَه إيّاه، ولكنّني تريّثتُ قليلاً. ويظهرُ أنّ ما أردتُه ظهر واضحاً على وجهي فشعر بما يدورُ في رأسي فاستطردَ يقولُ:

أمّا الطبُّ فَسيُقبّلُ يديّ هاتَين على ما سوف يستفيدُه من

اكتشافي ؛ فانَّ مسحوقَ الأقزامِ يستطيعُ أن يُصلِّحَ أو يُقلِّلَ من شرورِ كبارِ المجرمين الذين يرتكبون الجرائم طمعاً وجشعاً .

٣ ـ السارق العملاق

فسألتُه : وهلْ جرَّبْتُمْ هذا المسحوقَ في هذا الميدانِ ، أيْ ميدانِ الطبِّ ؟ فقالَ : نعم ! رجلٌ عملاقٌ من ذوي الغنى واليسارِ أتى بهِ أهلُه إليَّ لإصلاحِهِ من جريمةِ السَّرقَةِ ، لأنَّه كانَ يرتكبُ جريمته بدافعٍ نفسيٍ من حبِّ الاستيلاءِ إذْ لم يكنْ بحاجةٍ الى المالِ ، ولا تستغربْ هذا فانَّ هذا الجرمَ شائعٌ بين الأفرادِ والجماعاتِ ، حتى بيْنَ الدُّولِ ، فكم من الدولِ منْ ترتكبُ الحروبَ لا عن حاجةٍ الى الطعامِ والشرابِ ، فعندها ما يزيدُ عن حاجتها ، وإنما للاستيلاءِ على ما في بلادِ غيرِها من خيراتٍ وتكديسها في خزائنها .

قلت إنَّ الرجل يُحبُّ السرقةَ للسَّرقَةِ فقط ، وهو لا يسرقُ الأقلامَ والمحفظاتِ بل يسرقُ الأشياءَ الضَّخْمَةَ التي

تتناسبُ مع ضخامةِ جسمِ العملاقِ ، ولقد بدأ بسرقة الخزائنِ



ثم تقدَّمَ فسرقَ أكواخَ الخشبِ ، وترقَّى فسرقَ « أوتوبوساً »، وصعدَ في سُلَّمِ السَّرقةِ قدُماً حتى سرقَ قطاراً للبضائعِ يجرُّ خلفَه ستاً وخمسين شاحنةً .

وفي يومٍ من الأيَّامِ عزمَ ذلك العملاقُ على أنْ يسرقَ سفينةً من السُّفُنِ الكُبْرَى التي تجتازُ المحيطَ ، فلمَّا علِمَ أهله بما بيَّتَ جلبُوه إليَّ حيلةً ، فأعطيتُه ملعقةَ طعامٍ من مسحوقِ الأقزامِ ،

وما أنْ تناوَلها حتى هبطَ هيكلُه الضخمُ الى طفلٍ لا يتجاوزُ ارْتفاعُه نصفَ مترٍ ،وضمرتْ فيه رذيلةُ السَّرقةِ دون أنْ تنعدمَ ، فبدلاً من أن يسرقَ المركباتِ شرع يسرقُ الدبابيسَ والكراتِ.

٤ ـ المارد الجبار

وطالَ الحديثُ بيننا، وهو يشرحُ بصوتٍ جَهْوَريٍّ وبِاعتداد العظماء فوائدَ اختْراعه هذا ومستقبلَه، وما تجنيه الإِنسانيَّةُ منه حتى حضرت الخادمُ بأقداحِ الشَّاي ووضعتها على مكتبةِ العالِمِ ، ووضعتْ عدَّةَ زجاجاتٍ من السُكر تشابه في الشكل زجاجات المسحوقِ العجيبِ .

فقال لي العالِمُ العظيمُ : «تفضَّلْ يا سيِّدي،واشربْ قدحَك، واخترْ ما شِئْتَ من أنواعِ السُّكَّر . هل تفضّلُ السكَرَ المكعَّبَ أو السكر المسحوق ؟ أمَّا أنا، فأفضّلُ المسحوقَ لسهولةِ ذَوَبانِه في الشَّاي ؛ وأنا رجلٌ أخشى على الزمنِ من الضَّياعِ ، لانَّني كرَّسْتُه لخدمةِ العلمِ والانسانيةِ.»



وفي غيبوبةِ النّشْوةِ والفخرِ صبَّ في قدحهِ من مسحوقِ العمالقةِ بدلَ السكرِ المسحوقِ وحملَه الى فمِه، ولم يكدْ يتجرّعه حتى سمعتُ صوتاً كالرّعْدِ ، فرفعتُ رأسي الى أعْلى ، فشاهدتُ عالمَنا المحبوبَ استحالَ الى ماردٍ جبّارٍ : رأسٌ في السّماءِ ، وقدمٌ في الأرضِ ، وفمٌ كأنّه فوّهةُ بركانٍ ، وعينان كأنّهما صخرتانِ من البازلْتِ الأسودِ في قمّةِ جبلٍ عالٍ ؛ وأصابعُ يدٍ كأنّها جذوعُ الأشجارِ الضّخْمةِ!

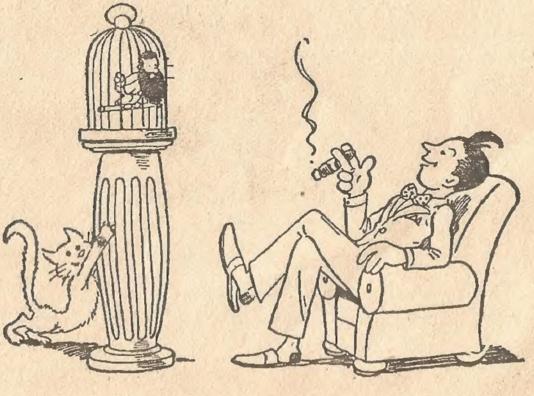
فتَملّكني خوفٌ شديدٌ ؛ وقلتُ : « اللّهُمَّ ، سترَكَ ! فانّ



أقلّ مُداعبةٍ منه قد تُهشّمُ عظمي، وتقطعُ لحمي، وتهوي بي الى وادي الهلاك.

٥ - قزم في قفص

وسمعته يتشكّى من قلّة حلاوة الشاي الذي يتناوله، ويلعن العطّار الذي خدعه ومدّ يده الي زجاجة مسحوق الأقزام وهو في غضبه، يظنّها زجاجةً من السكر المسحوق وصبّها في قدحه، وتناولها جرعةً واحدةً؛ فلم أُشاهدْ إلاّ عجباً، لقد هبط عالمُنا من سمائه كما يهبطُ المصعد الكهربائي «الأسانسور» واختفى



تحتَ المنضدةِ وبلغ حجمَ دُمْيَةٍ صغيرةٍ فانحنيتُ الى أسفلَ ، والتقطتُه ولَفَفتُه بمنديلي ، ووضعت يدي على فمِه خوفَ أنْ يصرخَ فينبّهَ أهلَ الدّارِ ، وحملتُه الى منزِلي ، ووضعتُه في قفصٍ كان معدّاً لببّغاءَ كانتْ عندي ، وركزتُه فوقَ منضدةٍ عاليةٍ ، وكنتُ في أوقاتِ الفراغِ ألْهُو بالحديثِ معه عن الحكمةِ والكيمياء .



مطبعة اوفست هراء

